

استعراض كتاب:

**المؤثرات السياسية والأمنية على
العلاقات السودانية الإريترية (1991 - 2007 م)**

للدكتور الزمزمي بشير عبد المحمود حبيب

استعرضه:

أ.د. كمال محمد جاه الله الخضر*

صدر عن شركة مطابع السودان للعملة المحدودة في عام 2011 م كتاب:
المؤثرات السياسية والأمنية على العلاقات السودانية الإريترية في الفترة من
1991 - 2007 م للدكتور الزمزمي بشير عبد المحمود حبيب، والزمزمي يعمل
مديرا للمركز الإفريقي للتنمية البشرية بالخرطوم، وباحث مجد له جهود بحثية - كما
تقول سيرته الذاتية- تناقش بعمق قضايا ملحة ذات صلة بالقرن الإفريقي.
الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراة في الدراسات الإفريقية(تخصص علوم
سياسية)، نال بها الباحث هذه الدرجة في عام 2010 م في مركز البحوث
والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية. ولعل من حسن حظ هذا الباحث أن
أشرف عليه الأستاذ الدكتور حسن مكي محمد أحمد العالم الخبير في الشؤون
الإفريقية مدير جامعة إفريقيا العالمية الذي تكرم أيضا على الباحث بوضع مقدمة
لكتابه صبَّ فيها عصارة فكره فيما يتعلق بموضوع الكتاب الذي قدم له. ولا ريب
أن المقدّم حجة في كل ما يتصل بدول القرن الإفريقي تاريخا وسياسة واجتماعا
وثقافة.

* نائب عميد الدراسات العليا - جامعة إفريقيا العالمية

يقع الكتاب في 422 صفحة، ويتألف من مقدمة منهجية، وستة فصول بالإضافة إلى نتائج وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، تضم 9 وثائق وأكثر من 100 كتاب مطبوع بالعربية والإنجليزية، و8 بحوث علمية غير مطبوعة، علاوة على عدد من الصحف وأوراق الندوات وورش الأعمال ومواقع الشبكة العنكبوتية، وأكثر من 30 مقابلة بعضها تم في دولة إريتريا؛ مما يدل على أن الباحث قام بعمل ميداني مهم، وبعضها تم في السودان لا سيما في شرقه المحاذي لدولة إريتريا، وفي ذلك إشارة واضحة إلى مدى ما بذل الباحث من مجهود حتى يكتمل بناء فكرة البحث الأساسية.

يذكر الباحث في مقدمة الكتاب (المنهجية) التي تناول بها أساسيات البحث المعتادة من أهداف وأسئلة ومشكلة وفروض ومنهج وأدوات وحدود زمانية ومكانية للدراسة إضافة إلى عدد من الدراسات السابقة. يذكر الباحث أن أهداف بحثه تتمثل في الآتي:

- التأكيد على أهمية العلاقات السودانية والإريتريّة ودعمها وتطويرها.
- إلقاء الضوء على العلاقات السودانية الإريتريّة في الفترة من 1991 م - 2007 م.
- توضيح الآثار السياسية والأمنية على العلاقات السودانية الإريتريّة في تلك الفترة وبحث هذه الأسباب.
- إبراز الدور الأجنبي في تأزم العلاقات بين البلدين.
- بحث القضايا الإقليمية المشتركة وقضايا الأمن القومي والسبق في المحافل الدولية.

وذلك بعد أن قدم توطئة أشار فيها إلى أن تناول موضوع المؤثرات السياسية والأمنية يمثل بعدا كبيرا وأهمية قصوى في مجال الدراسات الاستراتيجية

والسياسية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية. كما أشار أيضا إلى أن دراسته اختارت الفترة من 1991 - 2007 م نسبة لأنها فترة مهمة في تاريخ البلدين، حيث ظهرت فيها دولة إريتريا الجديدة بواسطة دعم سوداني عربي، أدى إلى استقلالها عن إثيوبيا، وهي الفترة نفسها التي كانت تحكم فيها السودان حكومة الإنقاذ ذات التوجهات الإسلامية والعربية، والتي كانت تعول كثيرا على أن تكون إريتريا نصيرا للعروبة والإسلام.

هذا من جانب، ومن جانب آخر حفلت المقدمة بعدد من الفرضيات التي أخضعها الباحث للدراسة والتحليل، والتي تتمثل في أن:

- الأصل في العلاقات بين السودان مع إريتريا هي السلام والوثام، وأن أي توترات حدثت في العلاقات استطاعت الدولتان تجاوزها.
- حداثة الدولة الإريترية التي لم يمض عليها حتى الآن سوى عشرين عاما في إقليم معقد ومخترق أجنبيا هي وراء الصراعات التي خاضتها هذه الدولة مع جيرانها.
- النخب الإريترية في الفترة من 1961 - 1991م كانت متعصبة، وكلّ يريد أن ينفذ أجندته، وقد ترتب على ذلك تقسيم الشعب الإريترى، ليتحول الأمر إلى حرب أهلية وصراع حول السلطة.
- العلاقات بين السودان وإريتريا منذ العام 2006 م اتجهت نحو التطور والتنسيق السياسي والأمني، والذي كانت له آثار إيجابية على العلاقات بين البلدين.

جعل الباحث الفصل الأول من فصول كتابه بعنوان: الإطار النظري، مفهوم المؤثرات السياسية والأمنية وأثرهما على العلاقات الدولية. وقد قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، استعرض في الأول منها تعريفات مفاهيم العلاقات

الدولية والسياسة الخارجية والسياسة الدولية، كما تطرق فيه إلى مراحل دراسة العلاقات الدولية، ثم أفرد حيزاً لتناول وحدات النظام الدولي، ومن ثم تناول تعريف المنظمات الدولية وأقسامها وأنواعها من حيث الاعتبار الجغرافي. أما المبحث الثاني فقد استعرض فيه الباحث تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية والثنائية، معتبراً أن مفهوم الأمن من مفاهيم العلاقات الدولية التي تتميز بالغموض وبغياب الإجماع بين المختصين حول معناها. كما استعرض فيه أيضاً مفهوم الأمن الذي عرف تحولا منذ نهاية الحرب الباردة من عدة زوايا من حيث توسع أبعاده لتتجاوز الجانب العسكري والتركيز على الأمن الجماعي واعتماد وحدات مرجعية غير الدولة. ثم تحدث الباحث عن بعض المسائل التي تحتاج إلى الأمن القومي التي قال إنها قيم مركزية هي بقاء الدولة والاستقلال الوطني ووحدة التراب والرفاه الاقتصادي والهوية الثقافية والحريات الأساسية. وأشار إلى أن الوحدات المرجعية للأمن هي: الدولة والأمة والإنسانية والفرد، وعلى الوحدات حماية نفسها لضمان بقائها.

في المبحث الثالث عرّف الباحث القرن الإفريقي جيوسياسياً، ومن ثم استعرض مقومات الصراع الداخلي، والتدخل الأجنبي فيه، ثم أوضح الأهداف البريطانية في البحر الأحمر في الفترة من 1790- 1945 م، التي أشار إلى أنها أهداف تجارية، وأهداف إستراتيجية سياسية. كما تناول التوسع الإيطالي في المنطقة، وأهدافه التي حصرها في الوقوف أمام النفوذ الفرنسي ومحاصرته والقضاء على ثورة المهديّة وإقامة مستعمرة إيطالية في إريتريا والصومال. ومن ثم تناول ما أسماه التقسيم الاستعماري للدول في منطقة القرن الإفريقي، ثم تناول أيضاً وجود حوض النيل والنزاع حول المياه، ثم تعرّض الباحث لضعف الدول في منطقة القرن الإفريقي، ثم وجود الثروات، ليحتم المبحث بالإشارة إلى أهداف إسرائيل من التوغل

في شرق إفريقيا والبحر الأحمر، وذلك لتحقيق جملة من الأهداف التي يأتي في مقدمتها:

- الحصول على الشرعية والاعتراف الدولي من الدول الإفريقية.
- إيجاد سوق للمنتجات الإسرائيلية.
- تحقيق عمق استراتيجي وعسكري في المنطقة.
- تقديم نفسها معينا للدول الإفريقية.
- ليتحقق لها الوجود في مدخل البحر الأحمر وللفكاك من محاصرة الدول العربية التي تجاورها.

وعلى ذلك يكون هذا الفصل بمباحثه الثلاثة قد قدم شرحا لعدد من المفاهيم المفتاحية ذات الصلة بالدراسة كما شرح عوامل التدخل الأجنبي والأطماع في دول القرن الإفريقي.

أما الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان: **تاريخ العلاقات السودانية الإريترية**، فقد استشر فيه الباحث ضرورة الغوص في تاريخ البلدين لإيجاد شواهد تفسر قضايا البلدين الراهنة بصورة عامة والتي تغطي مرحلة الدراسة بصورة خاصة، لذلك أرّخ الباحث في المبحث الأول منه لدولة إريتريا متناولا أهم معالم تاريخها ابتداء من العصور القديمة، ما قبل دخول الإسلام، مروراً بإريتريا في ظل الإسلام، ومن ثم الحروب الصليبية وانتهاء بإريتريا في ظل الاستعمار الإيطالي وعلاقتها بالسودان. وفي المبحث الثاني تناول الباحث جملة من المحاور تتمحور حول التأريخ للسودان عبر العصور ابتداء من العصور القديمة وانتهاء بوقوع السودان في قبضة الحكم الثنائي الإنجليزي المصري. ليأتي المبحث الثالث متناولا المكونات السكانية لدولتي إريتريا والسودان ثم الديانة واللغات والحدود الجغرافية بين الدولتين وأثرها على العلاقات بين شعوب الدولتين. وعلى ذلك يكون هذا الفصل قد

سعى إلى إبراز المشتركات التاريخية والجغرافية بين البلدين مع التركيز على التداخل العرقي واللغوي الذي مثل تحديا لكلتا الدولتين ومستقبلهما.

وفي الفصل الثالث الموسوم: الأثر الإثيوبي على علاقات السودان

بإريتريا في الفترة من 1952- 1991 م عكف الباحث على تتبع ذلك الأثر الذي ينبع من دولة مفتاحية في منطقة القرن الإفريقي، لذلك تناول المبحث الأول منه انطلاقة الثورة الإريترية بمساعدة السودان (1961- 1991 م)، وتحدث عن التحديات التي واجهت السلطة الجديدة في إريتريا بعد الاتحاد الفدرالي، ثم تحدث عن أسباب تخوف إثيوبيا من الاتحاد الفدرالي وأسباب تقويضه ثم إثيوبيا تضم إريتريا وتلغي التحاد الفدرالي، وقيام المقاومة الإريترية ثم يتحدث عن أهداف السيطرة الإثيوبية على إريتريا عن الحركة الوطنية الإريترية والطريق نحو الاستقلال، أفرد الحديث عن الحركات والتنظيمات الإريترية(نشاطها وتطورها)، ثم يتحدث عن دور السودان في تحقيق المصالحة الإريترية ثم الحرب الأهلية في إريتريا وأثرها على الثورة الإريترية ليختم المبحث بالحديث عن استقلال إريتريا.

يتناول المبحث الثاني من هذا الفصل الدور الإثيوبي في حرب جنوب

السودان 1956- 1972 و 1983- 1991 م، وأثر ذلك في العلاقات السودانية الإريترية، ومن ثم يتحدث عن العوامل التي شجعت إثيوبيا على استضافة حركة التمرد الجنوبية وهي مكونات الحركة الشعبية وعن المبادرات السلمية في الجنوب لحل الأزمة ودور إثيوبيا فيها، ثم يتحدث عن الإنقاذ بقيادة البشير، دورها في حل أزمة الجنوب وخططها تجاه إثيوبيا. ويגיע المبحث الثالث ليستعرض أثر العلاقات الإثيوبية الإريترية على العلاقات السودانية الإريترية عبر تناول وجهة النظر الإثيوبية الاستراتيجية تجاه إريتريا والدوافع الإثيوبية في إريتريا(سياسية واقتصادية وأمنية)، ومن ثم يتناول وجهة النظر السودانية الاستراتيجية تجاه إريتريا

التي كان أهمها سعي السودان لاستقلال إريتريا. يبين هذا الفصل أن إثيوبيا لعبت دورا مهما في علاقات السودان بإريتريا منذ أن ضمتها بعد إلغاء الفدرالية عام 1961 م من طرف واحد، من عهد الإمبراطور وحتى الاستقلال الإريتري، ومن جانبه، وفقا للباحث، عمل السودان على مناصرة الثورة الإريترية حتى تحقق الاستقلال لإريتريا.

أما الفصل الرابع الذي يحمل عنوان: **النخب السياسية في السودان وإريتريا وأثرها على العلاقات بين البلدين**، فيتكون من ثلاثة مباحث، أولها يكرسه الباحث لاستعراض توجهات القيادة السياسية وتحالفاتها وأثرها على العلاقات بينها وبين السودان وإريتريا، فيتناول تصنيف الأوضاع الدينية في إريتريا وشرق السودان، كما يتناول التركيبة القبلية في إريتريا وأثرها على توجيه النخبة، ثم يتناول أسباب تأثر النخب السياسية الإريترية بالنخب السودانية في عهد الثورة، ويتطرق للمؤثرات الأيديولوجية على النخب الوطنية الإريترية، ويعكس أفكار النخبة الماركسية في إريتريا وخططها وأثرها، و يبرز دور النخبة الإسلامية الإريترية وعلاقتها بالثورة والمجتمع الإريتري، و يستعرض استفادة الإثيوبيين من صراعات النخبة في إريتريا في إضعاف القضية الإريترية، ثم يستعرض النخبة السياسية في السودان وإريتريا ودورها السياسي وأثرها على العلاقات، فيتناول موضوع الأحزاب الإريترية وصراع النخب ثم الانقسامات داخل الثورة الإريترية(1975-1977) ثم علاقات النخب السودانية والإريترية في فترة المقاومة ثم نظام مايو والثورة الإريترية(1969 - 1985)، ثم العهد الديمقراطي في السودان والثورة الإريترية(1985 - 1989) ثم حكومة الإنقاذ والثورة الإريترية(1989 - 1991). ثم علاقات حكومة الإنقاذ مع الدولة الإريترية المستقلة. ثم الدور الإقليمي والدولي في

تدهور العلاقات السودانية الإريترية (1994) (الدور الإثيوبي، والمصري والدولي) ثم موقف القيادة والنخب في السودان وإريتريا في العلاقات السودانية الإريترية.

أما المبحث الثاني فقد تناول موضوع المعارضة الإريترية بعد استقلال إريتريا وأثرها على العلاقات بين البلدين (1991 - 2008)، ومن ثم الأسباب التي أدت إلى قيام معارضة إريترية إسلامية في السودان، والأسباب التي ساعدت الجبهة الشعبية على الاستيلاء على السلطة، ثم الأسباب التي أفشلت مخططات المعارضة الإريترية في السودان، و أثر المعارضة الإريترية على العلاقات السودانية الإريترية، وأثر الحرب الإريترية الإثيوبية على علاقات إريتريا بالسودان والدول التي تجاورها. وأما المبحث الثالث فقد تناول موضوع التجمع الوطني الديمقراطي وقوى المعارضة السودانية في إريتريا وأثرها على العلاقة (1994 - 2005) عبر تناول التجمع الوطني الديمقراطي ومكوناته وأهدافه، والأسباب التي جعلت الحركة الشعبية أقوى تنظيم في تحالف أسمرأواستعرض ميثاق هذا التجمع والمعوقات التي واجهت حكومة الإنقاذ واستفاد منها التجمع في أسمرأ(مشكلة الجنوب، والنهب المسلح في دارفور، والمعارضة المسلحة في إريتريا، والصعوبات الاقتصادية والصعوبات الأمنية)، ثم تناول الصعوبات التي عانى منها التجمع في أسمرأ والتي أدت إلى انهياره.

مجمل القول أن هذا الفصل أوضح جملة من النقاط، منها أنه تعرض للتنظيمات الدينية وأثرها على الانتماء السياسي في إريتريا، كما أبان التوجهات الأيديولوجية للنخب الإريترية وأثر ذلك على العلاقات، وتقسيم الولاءات داخل المقاومة الإريترية، كما أبان أيضا أن للجوء أثرا على العمل المسلح في الحدود بين البلدين من المعارضة السودانية التي شملت أيضا حركات وشخصيات من شرق

السودان كان لها أثر على العلاقات، وإيواء إريتريا للحركات المسلحة والمعارضة السودانية.

وفي الفصل الخامس الذي يحمل عنوان: **التطورات الإقليمية والدولية وأثرها على العلاقات السودانية الإريترية** يعالج الباحث قضايا مهمة يأتي ضمنها الحرب الإثيوبية الإريترية والأطماع الدولية في منطقة القرن الإفريقي والتجمعات الإقليمية في المنطقة وتأثير كل ذلك على العلاقات السودانية الإريترية، ففي المبحث الأول منه الموسوم الصراع الإثيوبي الإريترى (1998 - 2000) يتناول الباحث أسباب الصراع المختلفة (السياسية والأمنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية) ثم موقف السودان الرسمي من ذلك الصراع الذي يرى الباحث أن السودان التزم الحياد في الحرب رغم بعض الاتهامات الإريترية للسودان بفتح حدوده للقوات الإثيوبية لكي تهاجم بعض المدن ومواقع الجيش الإريترى. وفي المبحث الثاني المعنون: **الأطماع الدولية في القرن الإفريقي والبحر الأحمر ومياه النيل وأثرها على العلاقات بين السودان وإريتريا**، استعرض الباحث الأطماع الأوربية في البحر الأحمر والقرن الإفريقي والعوامل التي عززت من أهمية منطقة القرن الإفريقي وجعلته جاذبا للتدخل الأجنبي مع التركيز على أهداف فرنسا وإنجلترا وإيطاليا، ومن ثم الولايات المتحدة وإسرائيل وتدخلهما في الصراع بالمنطقة ثم أهداف إثيوبيا من التحالف مع إسرائيل، وتناول الخطوات التي قامت بها إسرائيل بعد التحالف مع إثيوبيا، وأثر البحر الأحمر في العلاقات السودانية الإريترية، ليستمر المبحث نفسه في استعراض الأطماع الدولية في المياه في منطقة القرن الإفريقي عبر تناول الاتفاقيات التي أبرمتها الدول الاستعمارية لتنظيم استخدام مياه النيل، ثم موضوع إسرائيل ومياه النيل، ثم المشكلات التي تعاني منها دول حوض النيل وعملت إسرائيل على استغلالها، التي تتمثل في:

- النمو السكاني المتزايد.
- تردي الأوضاع المعيشية.
- انخفاض دخل الفرد.
- انعدام الديمقراطية.
- الصراعات العرقية.

وفي المبحث الثالث الذي يأتي تحت عنوان التجمعات الإقليمية وآثارها الإيجابية والسلبية على العلاقات بين السودان وإريتريا (تجمع الإيقاد وتجمع صنعاء) عبر التركيز على الهيئة الحكومية للتنمية (الإيقاد) ودورها، ودور الإيقاد في سلام جنوب السودان ثم المبادرات الإفريقية لحل قضية الجنوب التي مهدت الطريق للإيقاد ثم الحديث عن محادثات الإيقاد 1994 ثم الحديث عن أهم النتائج التي تعرضت لها الحكومة السودانية عام 1995 ثم النتائج المهمة لأثر تجمع الإيقاد على علاقات السودان بإريتريا، ثم تحدث الباحث عن تجمع صنعاء الذي كان منبرا سياسيا وإعلاميا يضم لأول مرة دولاً من القرن الإفريقي وجنوب الجزيرة العربية، ثم الحديث عن الدواعي السياسية والأمنية لقيام تجمع صنعاء ثم أهدافه في مجال التعاون بين الدول المكونة له.

أما الفصل السادس (وهو الفصل الأخير من الكتاب) الذي اتخذ عنوان: **آفاق التعاون السياسي والأمني بين السودان وإريتريا وآثارها المتوقعة على العلاقات بين السودان وإريتريا** - فقد ركز الباحث في مبحثه الأول على الحديث عن المستجدات في القرن الإفريقي وأثرها على مستقبل العلاقات السودانية الإريترية 2007-2009 عبر تناول زيارة الرئيس البشير إلى أسمرا وأثرها على العلاقات السودانية الإريترية (2009)، ثم عبر تناول الأوضاع في الصومال منذ انهيار الدولة وآثارها المستقبلية على منطقة القرن الإفريقي، وانعكاساتها على العلاقات

السودانية الإريترية، ثم الاحتلال الإثيوبي للصومال (2006) وأثره على علاقات السودان بإريتريا، ثم أسباب التدخل الإثيوبي في الصومال، ثم الانسحاب الإثيوبي من الصومال تداعياته وأسبابه.

بينما تناول المبحث الثاني الدور الإريترية في اتفاق شرق السودان وأثره على العلاقات السودانية الإريترية عبر استعراض الخطوات الأساسية التي تمت في اتفاق شرق السودان، والقضايا الأساسية التي نص عليها الاتفاق، وإيجابيات الاتفاق وانعكاساته على السلام في السودان، والتحديات التي تواجهه، و تناول اتفاق شرق السودان وأثره على علاقات السودان بإريتريا والإقليم، كما أفرد حيزا لتناول الدور المصري والدور القطري في الاتفاق. ليختم الباحث هذا الفصل بمبثثيه الاتنين بالقول إنه من غير المتوقع أن تعود العلاقات السودانية الإريترية إلى فترة النزاع والتوتر لعدم وجود خلافات حدودية وعدم وجود معارضة مسلحة، وهي، فيما نرى، أهم الأسباب التي دلت التجربة على دورها الأساسي في التأثير حريا وسلما على العلاقات بين البلدان الإفريقية عموما.

أنهى الباحث كتابه بنتائج تفصيلية للمحاور المختلفة التي عالجه الكتاب بفصوله الستة. وقد أكدت تلك النتائج أهمية دراسة المؤثرات السياسية والأمنية على العلاقات بين السودان وإريتريا في منطقة تميزت بموقع استراتيجي مهم باعتبارها مدخلا مهما من مداخل البحر الأحمر، وفي فترة تاريخية غاية في الأهمية تكالبت فيها الأطماع الدولية على القرن الإفريقي.

وفي تقديري أن الباحث قد حالفه التوفيق في اختيار موضوع كتابه، وقد وفق أيضا في التحليل والمناقشة اللتين كانتا نتيجة حتمية للمادة العلمية الغزيرة التي اجتهد الباحث في جمعها من مظانها الأصلية، ومن أفواه العينات المنتخبة بعناية إبان زيارته الميدانية لإريتريا وشرق السودان.

وفي تقديري أيضا أن الكتاب على الرغم من تركيزه الواضح على المؤثرات السياسية وعدم تركيزه على المؤثرات الأمنية، علاوة على وجود العديد من الأخطاء الطباعية- يظل كتابا مهما في بابه، فهو كتاب مليء بالمعلومات المفيدة التي تعب الباحث في جمعها ومناقشتها وتحليلها. وأغلب الظن أن هناك بعض الموضوعات التي مرَّ عليها الباحث دون الوقوف عندها تفصيلا(لضيق المجال) تستحق أن يسلط الضوء عليها لاحقا عبر تناولها في أوراق علمية- الباحث، بحسب معرفتي به، على وعي بالسير في هذا الخط لاحقا، وهو أهل لذلك، لكن الذي لا يغتفر للباحث وهو ينطرق لموضوع كتابه الحساس هذا أن يرفق خريطة للسودان(القديم) دون حلايب (ص 190)، وهو فخ يقع فيه كثير من شباب الباحثين عندما يستسخون بعض الخرائط من الشبكة العنكبوتية دون التركيز على تفاصيل تلك الخريط.